المرجعيات الدينيّة للشعر الفلسطيني عند الشّعراء العراقيين المحدثين

الباحث: علي غانم عبد الله

جامعة بابل/ كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة/ قسم اللغة العربيّة/ الأدب

hum127.ali.ganem@student.uobabylon.edu.iq

أ. د. موسى خابط القيسي

جامعة بابل/ كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة/ قسم اللغة العربيّة/ الأدب

hum.musa. k@uobabylon.edu.ig

الملخص :

يهدف هذا البحث إلى دراسة أثر المرجعيات الدينية في تشكيل صورة الشعر الفلسطيني في نتاج الشعراء العراقيين، وكيف أسهمت هذه المرجعيات في بناء الوعي القومي والإنساني تجاه القضية الفلسطينية؛ إذ يتناول البحث توظيف الكلمات القرآنية، والشخصيات الدينية، والمواقف العقائدية التي استلهمها الشعراء العراقيون للتعبير عن معاناة الشعب الفلسطيني وصموده، كما يبرز العلاقة الروحية والفكرية بين الواجب الديني والوطني في القصيدة العراقية، وكيف تحولت المرجعية الدينية إلى أداة فنية تعكس موقفًا أخلاقيًا وسياسيًا من الاحتلال الإسرائيلي، ويخلص البحث إلى أن الشعراء العراقيين في تناولهم للقضية الفلسطينيّة لم يتعاملوا مع الدين بوصفه عنصرًا طقوسيًا، بل كقيمة نضالية وإنسانية تربط بين الشعوب وتوحّد وجدانها تجاه قضايا التحرر.

الكلمات المفتاحية: المرجعية الدينية، الشعر العراقي، القضية الفلسطينية، الوعي القومي، الوعي الإنساني، الأدب المقاوم.

Religious References in Palestinian Poetry of Modern Iraqi Poets

Researcher : Ali ghanim Abdullah

University of Babylon / College of Education for Human Sciences / Department of Arabic Language / Literature

Supervision: Musa khabt AL-Qi

University of Babylon / College of Education for Human Sciences / Department of Arabic Language / Literature

Abstract :

This research aims to study the influence of Religious References (or Authority) on shaping the image of Palestinian poetry within the output of Iraqi poets, and how these references contributed to building national and humanitarian consciousness regarding the Palestinian cause. The study addresses the utilization of Quranic lexicon, religious figures, and theological positions that Iraqi poets employed to express the suffering and steadfastness of the Palestinian people. Furthermore, it highlights the spiritual and intellectual correlation between religious and national duty in the Iraqi poem, illustrating how religious authority transformed into an artistic tool that reflects a moral and political stance against the Israeli occupation. The research concludes that Iraqi poets, in their treatment of the Palestinian issue, deal it with religion not merely as a ritualistic element, but as a struggle-oriented and humanitarian value that connects peoples and unifies their sentiment towards liberation causes.

Keywords: Religious Reference(s), Iraqi Poetry, The Palestinian Cause, National Consciousness, Humanitarian Consciousness, Resistance Literature.

توطئة :

تُعَدُّ المرجعية الدينية تُعَدُّ أحد أبرز الموجهات الثقافية في الوعي العربي والإسلامي، إذ مثّلت على امتداد التاريخ منبعًا خصبًا للإلهام الفكري والجمالي في الأدب، ولاسيّما في الشعر، فالخطاب الشعري العربي لم ينفصل يومًا عن جذوره الدينية التي شكّلت له فضاءً رمزيًا ومعنويًا يستمد منه صورَهُ وقيمَهُ ورؤيتَهُ للعالم.

وقد تجلّت هذه المرجعية بوضوح في الشعر العراقي الحديث، خاصة في قصائده المناصرة لقضية فلسطين، إذ استند الشعراء إلى الإرث القرآني والنبوي وإلى الرموز الدينية الكبرى بوصفها أداةً فاعلة لتأصيل الموقف المقاوم وإضفاء الشرعية الأخلاقية والوجدانية عليه، فالكثير من "الحكايات التي حملتها الكتب المقدسة... تتحول لدى الشاعر المعاصر إلى مصدر فني يخلق صوره الشعرية منه"[1] ومن خلال هذا التوظيف، غدت المرجعية الدينية ليس فقط عنصرًا جماليًا داخل النص، بل أداةً تعبويّة تستحضر الماضي المشرّف لتثبيت الحاضر المقاوم، مؤكدةً أنّ فلسطين في الوعي الشعري العراقي ليست قضية سياسية فحسب، بل قضية عقيدة ومصير حضاري مرتبط بروح الأمة ووجدانها الجمعي.

أولًا : المرجعية القرآنية

يُعد استدعاء النص القرآني في الشعر العراقي الحديث والمعاصر ظاهرة فنية ودلالية بارزة، لا سيما عند تناول القضية الفلسطينية. لم يتعامل الشاعر العراقي مع فلسطين كقضية سياسية أو جغرافية فحسب، بل كقضية عقائدية ووجودية، مما جعله يلجأ إلى القرآن الكريم باعتباره المعين الأول للرموز والدلالات التي تمنح النص الشعري قدسية وعمقاً تاريخياً.

يوظف الشاعر **مظفر النواب** مرجعية دينية قوامها سرد بطولات ومناقب السيد حسن نصر الله في حرب تموز عام 2006م، إذ يستند الشاعر إلى القرآن الكريم في صياغة رؤيته للانتصار، الذي يُعدّ نتاجًا لجهود المقاومين المؤمنين، ويُعزى تحققه إلى البُعد الإيماني والتوكل على الله:

يا سيدي ...في جبّتك الخوف أمانْ

يتلفّع "نصر الله" إذا جاء

بآيات القرآن

هذا الفتح من ال... من عند الله ومن "مارون الراس"

لا من عند "الأمريكان"

فسبح بحمد ربك وإستغفره

لن تبقى "حيفا" هادئة بعد الآن (2)

يستند الشاعر إلى المرجعية القرآنية، وتحديدًا سورة النصر﴿ **إِذَا جَاءَ نَصرُ ٱللَّهِ وَٱلفَتحُ, وَرَأَيتَ ٱلنَّاسَ يَدخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفوَاجا, فَسَبِّح بِحَمدِ رَبِّكَ وَٱستَغفِرهُ, إِنَّهُ كَانَ تَوَّابَا**﴾ (3) بوصفها إطارًا دلاليًا يُعيد من خلاله إنتاج رؤية متفائلة, لا يقتصر عمله على مجرد الاستلهام، بل هو إسقاط لمضمون السورة الذي يتنبأ بقدوم النصر الإلهي بعد الصبر على واقع الصراع الراهن بين المقاومة اللبنانية بقيادة السيد حسن نصر الله والكيان الصهيوني، فالشاعر يكبّر أيّما إكبار، بالدور القيادي للسيد حسن نصر الله كونه شخصية قيادية دينية قلّ نظيرها ترتسم خطى النهج القرآني القويم وتلتزم بمبادئه الحقة، فتنتصر على أعداء الله بصبر وإيمان عقائدي راسخ بمشروع المقاومة الحقة التي تدعمها الجمهورية الإسلامية الإيرانية ضد الاستعمار المعتدي الغاشم المتمثل بأمريكا وإسرائيل وباقي القوى الاستعمارية الامبريالية، فانتصار السيد في حرب تموز 2006م يبث في نفوس العرب الهمة والعزيمة لنيل هذه الانتصارات التي غادرها العرب وبَعُد عهدهم بها، فتظفر بالأمن والثبات والرفعة، بعد خوف وقلق وتشريد، ومن خلال هذه المقاربة، يُنشئ الشاعر العراقي ترابطًا رمزيًا بين الانتصار المتحقق في مارون الراس اللبنانية والتحرر المنشود في حيفا وباقي المدن الفلسطينية.

ويستعين الشاعر **خلف دلف الحديثي** بالخلفية الدينية المتمثلة بالقرآن الكريم ليتوعد غزة بالنصر إبان الحرب عليها عام 2008م إذ يقول في قصيدته(4) :

صبراً على بلواكِ غزة وارقبي

فالنصر للأجيال لا تنهاري

وغداً ستنتقم الزنود لنفسها

ويُقاس ليل القبر بالأشبار

وغدًا ستنتفض الشعوب كريمة

وتحاسب الطاغي وكل مماري

(...)

وغداً ستقتلع الجبال غزاتها

ونحيل دار الشرك دار بوارِ

يوظّف الشاعر في هذا النص المرجعية الدينية القرآنية من خلال تعبير (دار البوار)، وهو تعبير قرآني ورد في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ**﴾[5] ، إذ تُحيل (دار البوار) إلى الهلاك والخراب والمصير المحتوم للكافرين والطغاة، فالشاعر العراقي استثمر هذا البعد القرآني ليجعل من مصير (دار الشرك) التي يرمز بها هنا إلى العدو الصهيوني الغاصب المحتل مصيرًا مشابهًا لمصير الكافرين في النص القرآني، فيتحقق البعد العقابي والعدالة الإلهية في سياق المقاومة والتحرّر من الاحتلال الإسرائيلي، إذ يتناسق هذا التوظيف مع روح النص الذي يبدأ بالصبر ويعد لغزة وتضحياتها الباسلة، ويمرّ عبر صور الانتفاض والقصاص، لينتهي بمشهد قرآني الهوية يتوج الخطاب باليقين بزوال الباطل، مما يضفي قوةً دينية وشرعية على الرؤية الشعرية .

ويستند الشاعر **حسن سامي العبدالله** إلى المرجعية القرآنية في قصيدته (سقوط الهيكل الثالث)، إذ يوظّف شخصية فرعون بوصفها إسقاطًا رمزيًا للعدو الصهيوني:

كُنْ فِي فِلسطين

وَامْسَحْ وَحْشَةَ الطُّرُقِ

وقُلْ لَهَا إِنَّ وَعْدَ الحُرِّ فِي عُنُقِي

خُذْهَا إِلَيْكَ بِرِفْقٍ

يابْنَ دَمعتها

واصْرِخْ أَتَيْتُ أَنَا مِنْ دَهْشَةِ الحَبَقِ[*]

(...)

داعب نوافذها ...

وامْنَحْ حَدَائِقَها

سر اخضرارك

لا تأبه لمرتزق

بِها مَواجِعُ أُمّ، خُذْ بِخَاطِرِها

فَأَنْتَ تُتَقِنُ طَيَّ الْأَرْضِ بِالعَبَقِ

وَقُلْ لِرَشْقَاتِكَ النَّجْلاء

لا تذري مَعاقِلَ الشَّرِ..

باسم العِزَّة انطلقي

إذْهَبْ لِفِرْعَونَ، هذا البَرَبَرِيُّ طَغَى

قُلْ لِلسَّمَاءِ على أَنْفَاسِهِ انطبقي(6)

تتجه قصيدة الشاعر بخطابها إلى المقاوم الفلسطيني، وتستنهض همم المقاوم بتحريضه وتشجيعه للمقاومة بالاعتماد على المرتكز الإيماني التي يستند إليها في دفاعه عن قضيته، إذ يستند في قصيدته إلى المرجعية الدينية حين يستحضر صورة فرعون رمز الطغيان كما ورد في قوله تعالى ﴿**اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**﴾(7)، وما تبعها من عقاب إلهي بإطباق السماء على أنفاسه، فجاء هذا الاستدعاء متناغمًا مع النص لأنه يربط معاناة فلسطين بالتراث الديني الذي يختزن الوعي الجمعي للأمة، ويوحي بأن الطغاة الصهيونيين المعاصرين امتداد لفرعون القديم في جبروته ومآله المحتوم على يد المقاومين الأشاوس, لذلك لجأ الشاعر إلى هذه الإحالة الدينية ليضفي على خطابه بعدًا قدسيًا يعزز صدقيته ويمنح المقاومة مشروعية أخلاقية وروحية، كما أراد أن يبعث برسالة أمل أن الطغيان والاحتلال مهما اشتدّ فمصيره الزوال.

ثم انعكس هذا التوظيف على النص بإكسابه قوة رمزية تُحوّل الواقع السياسي إلى ملحمة إيمانية، فيما تكشف الأنساق المخفية خلف النص عن صراع بين قوى الخير والشر، بين المقدّس والمدنّس، في إطار رؤية تستند إلى الذاكرة الدينية لإعادة تأويل الحاضر وإسناد الفعل المقاوم بمعنى أزلي خالد.

ثانياً : المرجعية الحديثية النبوية

وإلى جانب النص القرآني، انفتح الشعر العراقي المعاصر على رافدين مهمين آخرين لتعميق دلالة القضية الفلسطينية: الرافد الأول هو النصوص اليهودية التلمودية والتاريخية) باعتبارها مادة للسجال وكشف عقلية الآخر، والرافد الثاني هو (الحديث النبوي الشريف) باعتباره مفسراً ومؤكداً للقداسة الإلهية .

وممّا لاشك فيه فإن الكيان الصهيوني قد سعى إلى تشويه الوجه العربي في فلسطين مستندًا إلى نصوصه الدينية والتاريخية المحرَّفة وفتاواه المضللة، محاولًا إضفاء شرعية زائفة على اغتصاب الأرض العربية، وبناءً على ذلك فقد التقط الشعراء العراقيون هذا البعد النصّي، فواجهوه بالكلمة، كاشفين زيفه ومؤكدين أصالة الهوية الفلسطينية، لذلك يعرج الشاعر **أحمد الشادي** الى ذكر أحد الكتب اليهودية في قصيدته (ذاكرة الفسفور الأبيض) :

اقتُلْ قد نَطقَ التلمود

والفسفورُ الأبيضُ جزءُ وصية

وجنودُ الغربِ بقايا من تترٍ ومغول

(...)

وهنا غزة

تجتمعانِ ببحرِ الدم

تجتمعانِ بقعرِ الخوف

والفسفورُ الأبيضُ يُمطر

يُمطرُ موتاً

يُمطرُ رُعباً

يُمطرُ حقداً

لا تسألهُ لماذا

فجوابُ سؤالكَ

إرضاءً للتلمود (8)

تتسلل المرجعية الدينية إلى وعي الشاعر بدلالاتها المأساوية والوحشية، فالنص يضع التلمود(*)، في قلب المرجعية الدينية التي تتحكم في سلوك العدو، فيصوّره الشاعر باعتباره (النص الموجِّه) الذي يُشرع قتل الفلسطينيين ويمنحه بعدًا عقائديًا لا مجرد قرارٍ سياسي أو عسكري، ويصبح الفسفور الأبيض رمزًا ماديًا لتلك العقيدة، فهو لا يُستعمل كسلاحٍ فحسب، بل كتنفيذ مباشر لوصايا التلمود الخبيثة، مما يربط النص الديني بالواقع الدموي في فلسطين، هذا الربط يضفي على المأساة الفلسطينية طابعًا أعمق، إذ يراها الشاعر العراقي امتدادًا لصراعٍ تاريخي بين (العقيدة المحرِّضة) وبين الضحية الفلسطينية .

وهكذا انعكست المرجعية الدينية على سياق القصيدة في جعل العدو يتجاوز كونه قوة استعمارية إلى كونه عدوًا حاملًا وصية دينية مغروسة في الوعي الجمعي، والنتيجة أن المطر (الذي عادةً يرتبط بالخصب والحياة) تحوّل إلى مطر موت وحقد ورعب، ونستشف من ذلك أنّ الشاعر أراد أن يقول إن ما يجري في غزة ليس مجرد حرب مصالح، بل حرب هوية وحرب عقائدية، تُوظَّف فيها الأساطير المقدسة لتسويغ الإبادة في مقابل صمود الضحية التي تكشف زيف تلك القداسة.

ويستند الشاعر **رعد موسى الدخيلي** في قصيدته (مصاب القدس) إلى العهد القديم كمرجعية دينية، مستحضراً إرثه اللاهوتي في معالجة القضية الفلسطينية، إذ يقول في القصيدة (10):

إليه

مصاب (القدس) في

العصر اللئيم

فقد ضاق الزمان

بكل مسخٍ

دنيء سافلٌ في

(اورشليم)

(...)

فيا أحرار دنيانا

تعالوا

تروا أوزار ذا (العهد القديم)

نجد الشاعر في هذا النص يستحضر المرجعية الدينية بوصفها إطارًا ثقافيًا مهيمنًا، إذ يربط بين أورشليم والعهد القديم(*) ليفضح تناقض الواقع المعاصر مع القيم الروحية التي كان يفترض أن تمثلها تلك المرجعية، فالنسق الظاهر هو الاستدعاء الديني استحضار (العهد القديم) بما يحمله من تاريخ مقدس مرتبط بالموروث التوراتي، غير أن النسق الثاوي خلف النص يكشف توظيفًا احتجاجيًا، إذ يستعمل الشاعر المرجعية ذاتها ليُدين تحوّلها إلى أداة لتبرير الاحتلال الإسرائيلي والظلم المرتكب على الشعب الفلسطيني، فمن خلال ذلك، يصبح ذكر (العهد القديم) تفكيكًا للقداسة المزعومة، إذ ينقلب النص عليها بوصفها حمّالة أوزار تُبرّر قمعًا حاضرًا، إذ يتحوّل من حامل لوعد روحي إلى حامل خطاب استعماري متوحش، وبذلك يضع النص القارئ أمام مساءلة لجوهر العلاقة بين الدين والتاريخ والواقع.

وإذا كان الشعراء العراقيون قد وجدوا في القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى سندًا روحيًا وفكريًا في التعبير عن مواقفهم تجاه فلسطين، فإن الحديث النبوي الشريف لم يكن بعيداً عن مخيلتهم الشعرية؛ فقد استدعوه بوصفه مرجعية دينية أصيلة صادقة تحمل قيم العدل والصبر والجهاد، بدليل قوله تعالى ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾[12]، فزاد نصوصهم ثراءً وأكسبها بعدًا إيمانيًا يعمّق رسالتها ويجعلها أكثر تأثيرًا في وجدان المتلقي، وبذلك يُوظّف الشاعر **إسماعيل حقي** في قصيدته الحديث النبوي، إذ يُسقط دلالاته حول نهاية اليهود على يد المقاومين، مُقدّمًا بذلك تأطيرًا دينيًا وتنبؤيًا للصراع :

ذا موكب الإيمان آتٍ لا يُرَدْ

والمسجدُ الأقصى الشّريف سيستردْ

في يوم ذي رَهج بذي عمٍ وجد

والأولياء الأتقياء لنا سندْ

ذا موكب الأبطال يوما ان وردْ

لم يبقِ طاغيةً بأرضٍ أو بلدْ

وستشهد الدنيا إذا ما الوعد جدْ

واستُنفرتْ كل العزائمِ في كبدْ

سنحرر الأقصى ونقحم كل سدْ

ويدلنا الحجر العقيم بكل وغدْ (13)

يستلهم الشاعر في نصه رؤية دينية ونبوءة مستقبلية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بحديث للنبي محمد (ص) يُعرف بحديث (قتال اليهود)، والذي وظفه ببراعة ليكون ذروة النص وخاتمته القاهرة، إذ يشير الشاعر في البيت الأخير (ويدلنا الحجر العقيم بكل وغد) إلى الجزء الوارد في الحديث الشريف "**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله**"(14).

لقد وظّف الشاعر العراقي هذا المرجع الديني بذكاء ليمنح نصه عمقًا إيمانيًا وبُعدًا مستقبليًا، وممرًّا لنسق خفي يحول الصراع من مجرد معركة سياسية أو عسكرية بين كيان الاحتلال والمقاومين إلى معركة عقدية مصيرية مدعومة بوعد إلهي، ومن هذا المنطلق؛ فأن استعمال الحديث لا يُعزز فقط من يقين النصر العربي الفلسطيني، بل يضفي على المعركة طابعًا مقدسًا تتجاوز فيه القوانين المادية، وتشارك فيه الجمادات (الحجر) لكشف الأعداء، وهو ما يمثل دلالة رمزية على أن الكون كله يساند قضيتهم العادلة ضد اسرائيل ومن يقف خلفهم، وبهذا ينقل الشاعر قصيدته من الحماسة الشعرية إلى اليقين الديني المطلق، مؤكدًا أنّ النصر الفلسطيني ليس مجرد أمل، بل هو وعد إلهي ونبوءة نبوية ستتحقق حتمًا، مما يمنح النص قوة تأثيرية هائلة تختزل رؤيته كلها في مشهد واحد جامع.

ومن أمثلة هذا الاستدعاء ما قاله الشاعر **أحمد نبيل العبدلي** في قصيدته (فجر الطوفان)، إذ يستعمل الحديث الشريف كمرجعية دينية لشحذ همم المقاومين الأبطال وحضهم على الجهاد والمقاومة، يقول في قصيدته(15) :

غَضَبُ الأباة الغُر كالبركان لما تفجر جاد بالطوفان

الله أكبر جُنْدُ غزّة كبروا وثبوا وما سمعوا مقال جبان

فجرا أغاروا فاليهود تشرذموا وكأنّهم عادوا الى التيهان

لما رأوا بأس الغيارى زلزلوا وكسوا ثياب مذلة وهوان

يا أهل مقدسنا رقيتم للعُلا فجهادكم أعلى ذرى الايمان

رباه نصرا نرتجيك مؤزرا لـلباذلين الروح دون توان

اتكأ النص الشعري على المرجعية الثقافية الدينية، متمثلةً بحديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) معمقًا لدلالته في البيت الشعري (فجهادكم أعلى ذرى الإيمان)، ففي هذا البيت يستلهم الشاعر العراقي من قول الرسول (ص) "**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد**"[16]، فالشاعر باستعماله هذا الحديث أراد أن يمرر نسقًا يربط من خلاله بين فعل المقاومة في غزة وفلسطين وبين جوهر الإيمان، حيث يغدو الجهاد دفاعًا عن الأرض والعقيدة هو أعلى مراتب التمسك بالدين، يظهر ذلك في تصويره للمجاهدين كرمز للعزة والكرامة في مقابل الهوان والمذلة التي لحقت بالعدو، وهو ما ينسجم مع الخطاب الإسلامي الذي يربط بين الدفاع عن المقدسات (القدس تحديدًا) وتحقيق مرتبة روحية عليا، ليرسّخ في الأذهان بأنّ مقاومة الاحتلال الصهيوني ليست مجرد فعل سياسي، بل استمرار لمسار إيماني ممتد يجعل من فلسطين ميدانًا حيًّا لتجسيد (ذرى الإيمان)، أي الذروة العليا التي بشّر بها الحديث النبوي.

ويتضح في شعر **وسام الحسناوي** المرجعية الدينية المتمثلة بالحديث النبوي في قصيدته (إلى صديقيّ أحمد مطر وناجي العلي) التي يقول فيها[17] :

صدق المصطفى فسلمان منا

لم يوقع معاهدات الهوانِ

وفلسطين لم تمت وهي تمشي

بسياسات فارس كرماني

قمر النصر لم يعد ببعيدٍ

وله نحنُ من شهود العيانِ

ها هو النصرُ حققتهُ الصواريخُ (*)

بروحٍ مملؤةٍ بالتفاني

وبأيدٍ عزيزةٍ وجبينٍ

ناصعٍ من بسالةِ الشجعانِ

يُومئ الشاعر إلى استدعاء المرجعية الدينية المتمثلة في حديث النبي محمد (صلى الله عليه وآله) عن سلمان الفارسي حين سُئِل عنه وقال: سلمان "**منا أهل البيت**"[18]، ليؤسس نسقًا ثقافيًا وعقائديًا يربط بين الماضي والحاضر، ويضفي شرعية دينية على التحالفات الاسلامية المعاصرة، فالقصد من استعمال هذا الحديث هو تجاوز الهوية القومية الفارسية لسلمان ودمجه في جوهر الإسلام المتمثل في أهل البيت، مما يعني أن معيار الأفضلية والاصطفاء هو الولاء للإسلام ونهجه القويم وليس العرق أو الأصل، ثم يقوم الشاعر بإسقاط هذا المفهوم على الواقع الحالي، ليبين النسق المضمر الذي يقبع خلف النص، إذ يرى في الجمهورية الإسلامية الإيرانية امتدادًا لهذا النهج القويم الذي رسمه الإسلام، وكأنه يقول كما كان سلمان جزءًا من أهل البيت بموقفه وإيمانه، فإنّ إيران اليوم هي الامتداد العملي لذلك الولاء بوقوفها مع قوى المقاومة ضد معاهدات (الهوان) أي التطبيع والخضوع، فهي برأيه ليست مجرد دولة فارسية، بل هي حاملة لراية الإسلام الأصيل وداعمة لقضايا المسلمين المحورية، وعلى رأسها قضية فلسطين، لاسيما بعد تخاذل الأمة العربية والإسلامية وتوقيعهم لمعاهدات الذل والهوان.

وبهذا الربط، يريد الشاعر أن يقول إن الدعم الإيراني لمحور المقاومة الإسلامية ليس مجرد سياسة خارجية أو تحالف مصلحي، بل هو واجب ديني وتعبير عن الانتماء العميق لجوهر الإسلام المقاوم، تمامًا كما كان سلمان الفارسي جزءًا لا يتجزأ من أهل البيت على الرغم من أصله غير العربي، فإنّ إيران اليوم بدعمها للمقاومة (صواريخ وأيدٍ عزيزة)، تنتمي إلى محور المقاومة الحق الذي يمثل الامتداد الحقيقي لنهج النبي وأهل بيته، وبذلك يتحقق (قمر النصر) بروح التفاني والإيمان المستمدة من هذا الإرث.

الخاتمة :

وفي ختام هذا المبحث، نخلص إلى أن الخطاب الشعري العراقي الداعم للقضية الفلسطينية لم يكن خطابًا سياسيًا عابرًا، بل كان خطابًا متجذرًا في عمق الوجدان الديني والثقافي.

1ـ لقد كشف البحث عن اعتماد الشعراء العراقيين على مجموعة من المرجعيات لإسناد موقفهم وتصوير عدالة القضية الفلسطينية، إذ جاء في مقدمة هذه المرجعيات القرآن الكريم، حيث وظف الشعراء آياته كقوة دافعة للإيمان، ورمزًا لقدسية الأرض، ومصدرًا للاستبشار بالنصر واستلهام الصبر والثبات.

2ـ لعل أبرز ما كشفه البحث هو الوعي العميق لدى الشعراء بأبعاد الصراع، وذلك عبر توظيفهم للمرجعيات اليهودية (الكتب اليهودية)، لم يكن هذا التوظيف اعتباطيًّا بل جاء في سياق يهدف إلى تفكيك السردية الصهيونية من داخلها، مستعملين نصوص الخصم كأداة لإثبات الحق الفلسطيني وتعرية التناقضات التاريخية والدينية التي يستند إليها الاحتلال.

3ـ شكّل الحديث النبوي الشريف رافدًا مهمًا، عزز من خلاله الشعراء رؤيتهم، مستدعين البشارات النبوية ومواقف الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) لربط الحاضر بالماضي، وتأكيد الحق الإسلامي والعربي في فلسطين.

4ـ إن هذا التمازج بين المرجعيات (القرآنية، والحديث، بل وحتى اليهودية) يبرهن على أنّ الشاعر العراقي المحدث قد حمل القضية الفلسطينية باعتبارها قضية مركزية لا تخص الفلسطينيين وحدهم بل تمس جوهر العقيدة والهوية والتاريخ العربي والإسلامي المشترك.

قائمة الهوامش :

(1) دير الملاك, دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر, د. محسن اطيمش, دار الرشيد, ط1 1982 : 232

(2) الأعمال الكاملة, مظفر النواب, مكتبة النواب, بغداد. العراق, ط2 2023م : 53

(3) القرآن الكريم, سورة النصر .

(4) عرس الدم, خلف دلف الحديثي, مطبعة اليسر, الأنبار, ط1 2023م : 65 ـ 66

(5) سورة إبراهيم : 28

(*) الحبقِ : هو نوع من النباتات العشبية طيبة الرائحة جدًا, يُستعمله الشاعر هنا للإشارة إلى العطر، البهجة، النضارة، أو الجمال، في إشارة إلى فلسطين التي توحي بالراحة والسكينة والعبير الفواح.

(6) قدسائيل, حسن سامي العبدالله, منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق, بغداد, ط1 2024م: 7,8

(7) النازعات : 17

(8) وتري يئنُّ عليك, أحمد الشادي, مطبوعات قصر الثقافة والفنون, صلاح الدين, ط1 2012م : 20

(*) يعتبر التلمود وثيقة اشتراعية تحتل المرتبة الأولى في أغلب الدوائر والمذاهب الدينية اليهودية الفاعلة، وهي بما تحمله من براغماتية إثنية وعقائدية، أدت إلى رسم الإيديولوجيا الصهيونية بمبدأ عرقي شديد التجذر يقطع بأن اليهود وحدهم هم شعب الله المختار، والشعوب من دونه جميعاً كالبهائم, للتوسع ينظر : التلمود كتاب اليهود المقدس, أحمد ايبش, دار قتيبة للطباعة والنشر, دمشق, ط1 2006م : 6

(10) صحيفة كواليس الجديدة, ع 334, الأربعاء 25 مايو 2022م

(*) العهد القديم : "هو ديوان من النثر يحتوي على النصوص الأساسية التي يقوم عليها دين اليهود في الزمن القديم والحديث"؛ التراث الإسرائيلي في العهد القديم, صابر طعيمة, دار الجيل, بيروت, ط1 1979م : 35

(12) النجم : 4,3

(13) قمر بلون القمح, إسماعيل حقي, دار نيبور للطباعة والنشر, العراق, ط1 2022م : 46

(14) كنز العمال, المتقي الهندي, مؤسسة الرسالة, بيروت . لبنان, ط1 1989م : 208/14

(15) طوفان الأقصى, أحمد نبيل العبدلي, مكتب المحترف, بغداد, ط1 2023م : 7

(16) المستدرك على الصحيحين, محمد بن عبدالله النيسابوري, تح : مصطفى عطا, دار الكتب العلمية, بيروت . لبنان, ط1 د,ت : 86/1

(17) قصيدة الى صديقيّ أحمد مطر وناجي العلي, وسام الحسناوي : شبكة المعلومات

(*) اطلقت إيران عملية الوعد الصادق 2 في 1 اكتوبر من العام 2024 ردًا على استشهاد رئيس المكتب السياسي لحركة حماس إسماعيل هنية في طهران, ليكون ذلك إيذانًا بانتهاء زمن الصمت, وأن معادلة القوى قد انقلبت, فمن يظن نفسه حصن منيع بالقبة الحديدية, بات اليوم يترقب من أي افقٍ ستهبط عليها نيازك الرد .

(18) بحار الأنوار, العلامة المجلسي, دار إحياء التراث العربي, بيروت . لبنان, ط3 : 22/ 331

قائمة المصادر والمراجع :

- **القرآن الكريم .**

1. الأعمال الكاملة, مظفر النواب, مكتبة النواب, بغداد. العراق, ط2 2023م
2. بحار الأنوار, العلامة المجلسي, دار إحياء التراث العربي, بيروت . لبنان, ط3
3. التلمود كتاب اليهود المقدس, أحمد ايبش, دار قتيبة للطباعة والنشر, دمشق, ط1 2006م
4. دير الملاك, دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر, د. محسن اطيمش, دار الرشيد, ط1 1982م
5. طوفان الأقصى, أحمد نبيل العبدلي, مكتب المحترف, بغداد, ط1 2023م
6. عرس الدم, خلف دلف الحديثي, مطبعة اليسر, الأنبار, ط1 2023م
7. قدسائيل, حسن سامي العبدالله, منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق, بغداد, ط1 2024م
8. قمر بلون القمح, إسماعيل حقي, دار نيبور للطباعة والنشر, العراق, ط1 2022م
9. كنز العمال, المتقي الهندي, مؤسسة الرسالة, بيروت . لبنان, ط1 1989م
10. المستدرك على الصحيحين, محمد بن عبدالله النيسابوري, تح : مصطفى عطا, دار الكتب العلمية, بيروت . لبنان, ط1 د,ت
11. وتري يئنُّ عليك, أحمد الشادي, مطبوعات قصر الثقافة والفنون, صلاح الدين, ط1 2012م

المواقع الألكترونية :

قصيدة الى صديقيّ أحمد مطر وناجي العلي, وسام الحسناوي, شبكة المعلومات .